

لغة السياسة

للدكتور عبد العزيز برهام

للسياسة لغة مختلف كل الاختلاف عما تواضع عليه الناس .
إذ من للمهارة السياسية أن تصل إلى أغراضك ولو من طريق ملتو .
وقديماً قيل : الغاية تبرر الوسيلة . وآه مادام للمائدة آداب وللحفلات آداب ، وللزيارات آداب ... فلماذا لا يكون للسياسة آداب كذلك ؟
ومن مظاهر آداب السياسة أن تكون لغتها من الرقة والسو بمكان ، بحيث لا تشعر المتحدث إليه بالرغبة في السيطرة عليه أو استغلاله .
فلغة « الأمر » قد تسمى بلغة « التصح » .
وبداهة أن النصيحة لا تقيد للنصوح له برأى الناصح ولا تلزمه الأخذ به ؛ فله كامل الحرية إن شاء أخذ وإن شاء يذر ؛ ولكن لها عند بعض الساسة معنى آخر .
فإذا تفضل عليك ناصح بالأطرح مشروع كذا في مناقصة ورأيت أنت أن الخير لك ولوطنك في غير ذلك عتب عليك في عدم الأخذ بمشورته عتاباً قد يكون مرأاً ، وقد يبلغ درجة اللوم والإخراج والتوعد ، وإذا نصحتك بكذا وكيت لموى قد يكون في نفسه ولم

ولمنا رأى (فرينرو) زعيم التربية الأدبية في إيطاليا أن أنجع حياة لتعلم اللغة اللاتينية للأطفال أن يجعلها لغة المحادثة منذ الصغر يتفهمون بها ، ويتحدثون مع أستاذهم ، على أنه عنى بتجويد نظمهم ، وجودة إلقاءهم ، وتمثيلهم للمعاني .

ولهذا أيضاً كانت عادة العرب ولا سيما الخلفاء أن يرسلوا أولادهم إلى البادية لتتشتتهم على الفصاحة فيما ينشئون عليه .
فليس بدعاً إذن أن يتعلم سبسر اللغة الإنجليزية بدون قواعد .
وليس مستحيلاً ولا عسيراً في كثير أو قليل أن يتعلم أحد اللغة العربية أيضاً بدون قواعد ، فقد كان هذا يحدث فضلاً ، وقد دعا إلى انتهاجه بعض اللربين كابن خلدون .
ليس الصواب إذن في إلقاء النحو ، إنما الصواب في تبسيطه وتيسيره ، وأن تترخى سلامة التعبير فيما يسمعه التلميذ ويقرؤه ، وأن نكثر من تمرينه وتدريبه .

وبعد فالمدارس المصرية تعلم من النحو تتقاً ضرورة لا غنى

تتابه في رأيه تملل واستاء ، لأن « التصح » على لسانه نصح من « نوع خاص » .

ولقد يتطوع لزيارتك زائر كريم ، ويتحدث إليك في أمور يكثر الجدل فيها ، وتناقلها الألسن ، ثم يبدى لك في أدب جيم بأن « من رأيه » أو « من رأى حكومته » أن تحمل العقدة بكذا وكذا ، ثم يتركك وقد فهم كل منكما ما انطوت عليه سريرة الآخر ، وهو في سعيه مشكور شكر الناصح المخلص .
وإذا للشروع بطوى ، والجو يصفو ، والنفوس تهدأ ، ويصود الأمن كما بدأ ، وتصفق الأيدي للحل السعيد .

وقد يكفي مجرد « إظهار الضجر وعدم الرضا » لإيقاف المتحدث وتحويله الساكن .
فإذا لم يُظهر بعض الدوائر للماليسة ارتياحاً إلى أن تكون اللغة العربية هي لغة وطنها ؛ وإذا ارتأت دور الحياة في استخدام هذه اللغة فيما تعرض من أسئلة حرجا عليها فمناه بلغة السياسة : فتتوعد بما رضى السخيل بمنحك إياه ، وشكراً له على تفضله .

« والمركز الممتاز » في عرف الساسة الطالبين له هو صنيع يؤدي إلى من يطلب منه منحه : وكيف لا والدافع إليه شدة الحذب على المبيض الجناح ، والحرص على المحافظة عليه ؛ فالجيش

عنها في استقامة الأسلوب وفهم المعاني ، ومشتان بين عهد درس فيه الأستاذ بعض النحو دراسة نظرية جافة مملّة وبين تدرّس النحو في هذا العهد تدرّساً نظرياً عملياً مشفوعاً بالتطبيقات .

ثم لماذا يحرص الفرنسيون مثلاً على أن يعلموا التلاميذ للفهم من أبنائهم ومن غيرهم قواعد لغتهم ، وهي أحياناً أكثر تشعباً من قواعد اللغة العربية منع رغبتهم في نشرها وسيادتها وتيسير تعلمها على الراغبين ؟

وإذا كان الإعراب قد كاد يكون خصيصة للغة العربية وحدها بعد أن قل في الألمانية فإن الوسيلة الوحيدة لتيسيره ليست إلقاءه بالتسكين ، ولا التوضيح في نطق الحركات كيفما جرى بها اللسان ، وإنما بكثرة القراءة والزران ، والتدريب على القواعد للموضوعة لهذا اللسان .

أحمد محمد الحوفي

للدروس بالسيدة الثانوية

(يتبع)

في نجاح مشروع فتح (قناة السويس) .

وتقد أدخل القرن العشرون في معجم السياسة كثيراً من الألفاظ التي غيرت من مدلولها ، وأضاف مؤتمر (سان فرانسيسكو) إليه مصطلحات جديدة . فبعد أن كنا لانسمع إلا ألفاظ الاستثمار والانتداب والحماية ... أصبحنا نسمع كذلك ألفاظ الوصاية الفردية والوصاية الدولية ... ومن يدري فربما أضيفت إليه في المستقبل صفحات .

والحق أن الغاية من كل هذا واحدة : إخضاع الضعيف لسلطان القوى ، شأنه في ذلك شأن الذئب والحمل الذي قيل إنه كان يعكر عليه الماء . وسواء لدى القوى أطلب منه الضعيف الوصاية عليه أم لم يطلبها ، فهو في الحالين أهل لهذه الوصاية . ومن حق القوى أن يأخذ بيده حتى يصل به إلى درجة البلوغ الإنساني ليستحق بذلك أن يكون عضواً في جماعة الإنسانية .

ولو أنك سألت (عصبة الأمم) لماذا قررت (وضع سورية ولبنان) تحت الانتداب الفرنسي ، لأجابتك في كثير من البساطة ، لتساعدنا على النهوض والاستقلال بأنفسنا ، ولتصل بهما إلى درجة من الرقي والحضارة تجعلهما أهلاً لمضوية هذه العصبة . ولكنك لو سألت اليوم (فرنسا) لماذا لا تترك هذه البلاد بعد أن أدت فيها رسالتها (ما دامت الرسالة لم تكن الغاية منها إلا مصلحة الشعب المغلوب على أمره) أجابتك ، وعلى شفيتها ابتساماً : والنشئات الحربية ، والمواقع (الاستراتيجية) والمدارس والمستشفيات والكنايس التي أسسناها ... ؟ أتريدنا على أن تترك كل هذا دون عوض وأن ننصرف كما قسمنا ؟ ولماذا إذن كانت كل هذه الجهود التي بذلنا قراب عشرين عاماً ؟ وكيف يجرؤ الشعب الذي امتصنا دمه وأذقناه القتل والهوان ، وحاولنا وضع بذور التفرقة بين وحدانه على إنكار ما أسدينا إليه من صنيع ؟

قلت ما أحكم قول شاعر المرة :

وأرضيت أقرى الوحش زادي

بها ليثوب لي منهن زاد
فأطعمها ؛ لأجعلها طعماً ورب قطعة جلب الوداد

عبد العزيز برهام

السخيل التي يحتل أرضه ليس له من مأرب إلا رد للفتدين عنه ، والثقافة التي تفرض عليه إنما يراد بها رفع مستواه العلمي والحقائق ، ومدارس التبشير ليست إلا هدايته سواء السبيل ... ولكنه في الواقع والحقيقة انتقاص شائن من حرية من يسلم به ، واعتداء على كرامته واستقلاله ، واعتراض منه بأنه ليس لهذا الاستقلال أهلاً ومن غرائب الصدق أن لغة السياسة من فصاح مسداة ، وآراء مبذولة ، وامتيازات مطلوبة ، لا تتخذ هذا المعنى « الرفيع » الخاص إلا إذا جرت على لسان قوى وتحدث بها إلى ضعيف أو إلى من يظن في نفسه الضعف . فالدول الكبرى في مؤتمر (سان فرانسيسكو) تنصح عملياً للدول الصغرى بأن تقلل من شطحاتها وبأن تعلم الطاعة وتسلم صاغرة لما يراد بها ، ولكن إذا ما جد خلاف بين بعضها هي وبين بعض كانت لغة التوفيق ذات معانٍ آخر وذات أسلوب آخر .

والسياسي الماهر هو الذي يقف من خصمه موقف مفسر الأحلام الذي استدعاه أحد الملوك ليفسر له تحلاً أنزعه . وعلم المفسر أن قد سبقه في هذا المضمار آخرون فربت للفتنة آخرتهم ؛ لأنهم أخبروا الملك أن جميع أفراد أسرته سيموتون قبله وسيبوت هو بعد ذلك . فلما أحضره الملك بين يديه وسأله عن تعبير رؤياه أجابه : ستكون أطول أفراد أسرتك عمراً .

و (الدبلوماسي) البارع هو الذي لا يضع السيف في موضع الندى ، والتي يصل بمسول ألفاظه إلى ما لم تصل إليه القنابل الطائرة .

لما أخفقت الحملة الفرنسية على (مصر) وخشي (نابليون) أن يكون في رحيل جنوده عن (وادي النيل) ما يذهب بالأثر الثقافي والملي الذي تركته بحث عن رجل يمثل (فرنسا) في (مصر) وتكون رسالته « أن يحافظ على النفوذ الفرنسي رغم الهزيمة ، وأن يؤسس بالطرق (الدبلوماسية) ما عجزت الأسلحة عن تشييده » فوقع اختياره على (ماتيو ديليس) Mathieu de Lesseps . وكانت وصية (تاليران) Talleyrand له وهو يودعه : « آخذ نفسك صديقاً : رجلاً من بين خصومتنا ، وسيكون في صداقتك له ما يجعل منه واحداً منا » - وكلنا يذكر ما كان لصداقة هذا (الدبلوماسي) محمد علي وبنيه من الأثر الكبير